حروف حرّة

مجلّة فصلية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

العدد 39، صيف 2025

ما بعد الإنسان:
أسئلة الذكاء الاصطناعي

تقرؤون في هذا العدد

ملف العدد

ما بعد الإنسان: أسئلة الذكاء الاصطناعي

هل يهدّد الذكاء الاصطناعي روح الإبداع؟ ص. 3

فرح الجلاصي

خوارزميات قاتلة وحرب رقمية:
الذكاء الاصطناعي في خدمة حرب الإبادة على غزة ص. 4-5

فهمي رمضاني

الذكاء الاصطناعي: اغتراب جديد ص. 6-7

كوثر الدّادي

تصميم الصورة في عصر الذكاء الاصطناعي: التحولات المفاهمية ص. 8-9

كوثر بن حميدة

تمثلات الجسد الأنثوي في الخزف المعاصر وتوظيف الذكاء
الاصطناعي لدى جوسيفا نتجام ص. 10-13

سلوى مباركة علوي

حروف حرّة

مجلّة فصلية تصدر عن
جمعية تونس الفتاة

تأسّست في مارس 2021

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

فهمي رمضاني

مريم مقعدي

التصميم

حمزة عمر

صورة الغلاف

Canva

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

جمعية تونس الفتاة

هل يهدّد الذكاء الاصطناعي روح الإبداع؟

بقلم: فرح الجلاصي

في زمنٍ تتسارع فيه التكنولوجيا كقطارٍ بلا فرامل، يطلّ علينا الذكاء الاصطناعي كضيفٍ ثقيل الظل على بعض العقول، وساحرٍ مبهرٍ للبعض الآخر. يكتب الشعر، يرسم اللوحات، يؤلف الموسيقى، ينسج الروايات... فيثير فينا سؤالًا ملحًا: هل يهدد هذا الكائن البارد، غير الحي، روح الإبداع التي لطالما ميزت الإنسان؟

الإبداع، في جوهره، فعل روح. لحظة خاطفة من وحيٍ غامض، تختلط فيها الأحاسيس بالتجربة، وتغوص في أعماق الذات بحثًا عن شيء فريد لم يُقل من قبل. فهل يستطيع الذكاء الاصطناعي بقدرته الهائلة على المعالجة والحفظ أن يبلغ هذا العمق؟ هل يشعر بما يشعر به الشاعر عندما ينزف قافيته؟ هل يحزن كالفنان حينما يلون لوحته بشيء من وجعه؟

الذكاء الاصطناعي لا يحلم. لا يحنّ. لا يشتاق. وإن كتب نصًا بديعًا، فإنما هو توليف لما قرأه، لا ترجمة لما عاشه. ومع ذلك، لا يمكن إنكار قدرته على الإبهار، على المفاجأة، على إتقان الصنعة،

بل ومساعدة الإنسان في اكتشاف مناطق جديدة من الإبداع نفسه. لكنه يبقى حتى هذه اللحظة عاجزًا عن خلق المعنى من الألم، أو تجسيد الحنين الذي لا يُوصف.

الإبداع الإنساني مهدد، نعم، ولكن ليس من الذكاء الاصطناعي، بل من الإنسان نفسه حين يفقد شغفه، حين يسلّم روحه للآلة ويكتفي بدور المتفرج. أما من يؤمن أن الإبداع طاقة لا تنضب، وأن الذكاء الاصطناعي مجرد أداة يمكن توجيهها، فإنه سيجعل منه جسرًا لا قيدًا، مساعدًا لا بديلًا.

في النهاية، لا خوف على الإبداع ما دام في القلب نبض، وفي العقل سؤال، وفي النفس جوعٌ للجمال لا يُشبع.

> ”
> *الإبداع الإنساني مهدد، نعم، ولكن ليس من الذكاء الاصطناعي، بل من الإنسان نفسه*
> “

خوارزميات قاتلة وحرب رقمية:
الذكاء الاصطناعي في خدمة حرب الإبادة على غزة

بقلم: فهمي رمضاني
أستاذ مبرّز في التاريخ
نائب رئيس جمعية تونس الفتاة
fahmi@tounesaf.org

منذ انطلاق ثورة الذكاء الاصطناعي وما صاحب ذلك من تحولات سريعة وفارقة، سارعت إسرائيل بالالتحاق بركب هذا التطور، لتصبح رائدة في استخدامه خاصة في المجال العسكري وفي ظل حرب الإبادة التي تقودها على قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر. وتمتلك إسرائيل اليوم ترسانة أسلحة وبرمجيات متطورة يحل فيها الذكاء الاصطناعي محل البشر وذلك من أجل تعقب الفلسطينيين في غزة والضفة، وقد مكنها هذا التفوق في مجال الذكاء الاصطناعي لا على إدامة الاحتلال فحسب، بل تحقيق هذا الحجم الاستثنائي من الدمار والإبادة وذلك من أجل تنفيذ مشروع التخلص من الفلسطينيين المتجذر في عمق العقيدة الصهيونية.

سارعت إسرائيل منذ تأسيسها إلى امتلاك أسلحة متطورة وعلى رأسها القنبلة النووية كما استفادت في السنوات الأخيرة من التطور التكنولوجي خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي الذي أخذ في التوسع والتطور على يد شركات إسرائيلية مثل مركز "موشي ديان" وأخرى أمريكية. وبدأ الجيش في استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي منذ 2019 من خلال الأجهزة المتخصصة في التنصت وفك الشفرات ومراقبة الأفراد، كما توسع ذلك الاستخدام ليشمل المجال العسكري من خلال تحليل المعلومات الاستخباراتية وتحديد الأهداف العسكرية والتنبؤ الاستباقي. وقد رفضت إسرائيل التوقيع على "معاهدة الاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي في ساحة المعركة" وهو ما يعكس نيتها في استخدام هذا السلاح كعنصر لتحقيق الإبادة والتدمير في حرب غزة. وتتجسد هذه النية في استعمالها مئات الخوارزميات والتطبيقات المستمدة من الذكاء الاصطناعي والتي كانت وراء الدمار غير المسبوق الذي شهده القطاع.

> ”نظام هابسورا الذي طوّره الاحتلال منذ 2022 ويعتمد على الذكاء الاصطناعي لتوليد "قوائم أهداف" بشكل آلي“

ومن أهم هذه الأنظمة نذكر نظام هابسورا الذي طوّره الاحتلال منذ 2022 ويعتمد على الذكاء الاصطناعي لتوليد "قوائم أهداف" بشكل آلي من خلال تحليل ضخم لبيانات تشمل المواقع والمكالمات والتحركات. وقد روجت سلطات الاحتلال على أنه يستخدم للتنبؤ بمواقع إطلاق الصواريخ ونشاط الأنفاق فقط، لكنه خلال حرب غزة تسبب في قصف مئات المنازل المدنية وقتل عائلات بأكملها. لذلك وصف بأنه "مصنع اغتيالات جماعية حيث استخدمه الاحتلال لتسريع عمليات الاستهداف دون تدخل بشري او أدنى اكتراث بالمآسي والكوارث الناتجة عن هذا القصف". إلى جانب هايسورا، نجد نظام "أين أبي" الذي يعتبر من أخطر أنظمة الذكاء الاصطناعي التي استخدمتها إسرائيل في حربها على القطاع والذي يهدف إلى تتبع الأفراد المستهدفين وتنفيذ عمليات التفجير عند دخولهم ليلا إلى منازل عائلاتهم. وقد أدّى هذا النظام إلى القضاء على عائلات فلسطينية بأكملها داخل منازلها وهو ما يفسر كذلك الاعداد الكبيرة من الشهداء خاصة في صفوف الأطفال والشيوخ والنساء.

ويقترب نظام "أين أبي" من تطبيقة أخرى أكثر خطورة وهي تطبيقة غوسبل التي تعد أخطر أنظمة الذكاء الاصطناعي فهي تحدد المباني والمنشآت التي يدعي الجيش الإسرائيلي أن المسلحين الفلسطينيين ينطلقون منها ويقصفها على رؤوس ساكنيها. وتستطيع هذه التطبيقة تحديد مئة هدف في اليوم. نجد أيضا أنظمة أخرى تعتمد على إعطاء كل فرد من سكان القطاع درجة من 1 إلى 100 وتعكس هذه الدرجة مستويات انضمام الشخص إلى حركة حماس أو حركة الجهاد الإسلامي وبعد تحديد مكان الشخص المستهدف يعطى الامر للجيش بتصفيته. تؤكد هذه التطبيقات الوجه القبيح للذكاء

الاصطناعي والذي تم تسخيره في القتل والدمار والإبادة.

إلى جانب هذه الأنظمة والتطبيقات، استثمرت إسرائيل في الأسلحة والعتاد العسكري المعتمد على الذكاء الاصطناعي، حيث استعملت في حربها على غزة طائرات ومسيرات قصيرة المدى تعتمد في تحركها على الذكاء الاصطناعي. ويساعد هذا النوع من الطائرات في إجراء مسح ثلاثي الأبعاد للهياكل الهندسية المعقدة مثل المباني بمختلف أشكالها وهو ما يساعد في تحديد الأهداف بدقة أكبر. كما استخدمت إسرائيل المسيرات الانتحارية من طراز "سويتش بليد 600" وهي من أبرز الطائرات المطورة التي تعمل بالذكاء الاصطناعي حيث تحمل كاميرا متطورة وكمية مهمة من المواد المتفجرة. هذا فيما يتعلق بالمسيرات، أما الدبابات، فنجد دبابة "إيتان إيه بي سي" القادرة على العثور على العديد من الأهداف ومراقبة محيطها بشكل دائم. يستخدم الجيش الإسرائيلي أيضا الذكاء الاصطناعي لأغراض مراقبة حدوده خاصة مع غزة والضفة، بحيث ينشر على طول الحدود شبكة واسعة من كاميرات المراقبة التي تعمل بالذكاء الاصطناعي.

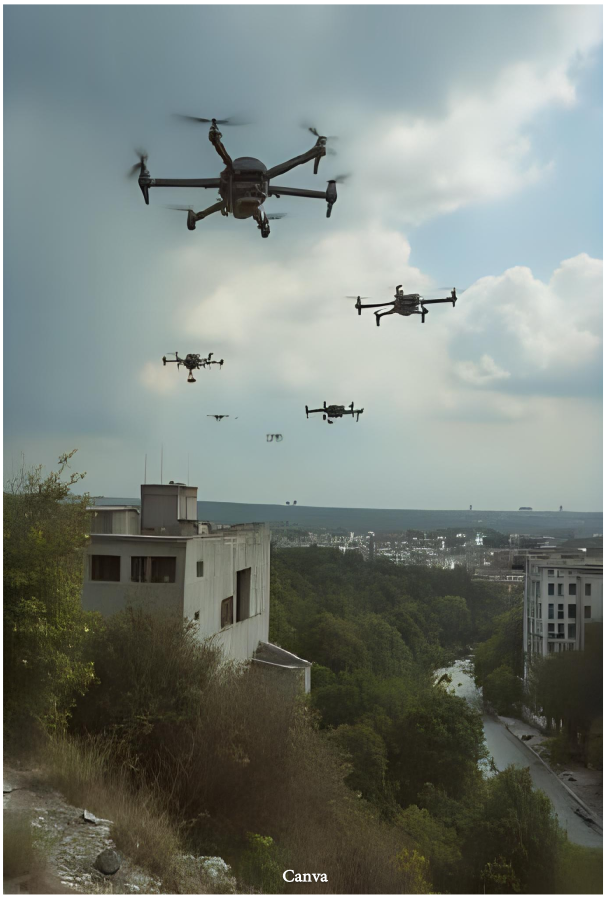

كما تستخدم إسرائيل في الضفة الغربية المحتلة تقنية التعرف على الوجوه استخداما مكثفا للتمكن من مراقبة وتنظيم تحركات الفلسطينيين وذلك من أجل جمع المزيد من البيانات الشاملة بشكل أكثر كفاءة، هذا إلى جانب تسجيل أرقام الهويات والأعمار والجنس وأرقام لوحات السيارات. وهكذا ينخرط الذكاء الاصطناعي في المشروع الإحلالي الإبادي الصهيوني. فوجود هذه الترسانة من برامج الذكاء الاصطناعي المختصة في قتل الفلسطينيين هو دليل على وجود إرادة فعلية لإبادة الفلسطينيين، إذ توفر أجهزة الذكاء الاصطناعي تفاصيل عن مكان وجود الفلسطينيين لاستهدافهم بالغارات، كما أن هذه الخوارزميات التي يتم تغذيتها بمعلومات عن الأفراد تهدف إلى التعرف عليهم باعتبارهم أهدافا عسكرية. كما تستعمل شركة ميتا الخوارزميات لتعقب ومحاربة السردية الفلسطينية مقابل الترويج للرواية الإسرائيلية. وتفتح كل هذه التطبيقات القاتلة للذكاء الاصطناعي اليوم الباب أمام مستقبل قاتم للإنسانية.

"

توفر أجهزة الذكاء الاصطناعي تفاصيل عن مكان وجود الفلسطينيين لاستهدافهم بالغارات

"

الذكاء الاصطناعي: اغتراب جديد

بقلم: كوثر الردّادي

متحصّلة على الماجستير في اختصاص التنمية المحلية والعمل الجمعياتي

kawtherraddadisoc@gmail.com

„ لماذا أصبح علينا لزاما التفكير في مزيد من الرّفاهية والتطوّر؟ وما مردّ تلك الافتراضات الطوباوية بحلولٍ تكنولوجية مبهرة لكل شيء؟ "

بعد عقود قضّاها الإنسان المعاصر في مواجهة تغوّل آلة الرأسمالية الموحشة واعتباراتها التي فَرضت نمط عيش وتفكير وحتى جمالٍ معيّن؛ قائم على ثلاثية: الجدوى، المنفعة، والمردودية. ها هو اليوم أمام نسخة جديدة من التضخّم المعلوماتي والطفرة التكنولوجية في أحدث تجليّات "التشيؤ" الذي ما انفكّ مجموعات "القيمة أو المصلحة" على تغذيته وتطويره، وآخرها (حسب ما وصلنا وتناهى لمسامعنا البسيطة حدّ اللّحظة) الذكاء الاصطناعي.

إلى جانب معارك إثبات القدرات التي يخوضها الفرد منا يوميا، أصبح مطالبا أيضا بمزيد من الجهد للبرهنة على جدواه أمام الذكاء الجديد. فهذا المصطلح "ذكاء" خرج من حقله الدلالي المألوف أو المتعارف عليه باعتباره ملكة بشرية خالصة، ليتجاوزه بالغا مستويات أخرى قد تفوق القدرات الذهنية للبشر رغم أنّ البشر أنفسهم من طوّروه وأوجدوه من الأصل. وبذلك تتراءى لنا المفارقة التالية: عقل بشريٌّ يبرمج ويطوّر عقلا صناعيا أو تقنيا ليقف أمامه عقل بشريّ آخر مشدوها فاغرا من القدرات العجيبة. **فهل أُريدَ بذلك العقل اللا بشري مزيد من الهيمنة وتعميق الشعور بالاغتراب، أم تذكيرٌ بالهشاشة والمحدوديّة؟** أم أنه لا شيء من ذلك سوى أنّ الأخير، أي الذكاء المُبرمَج، بلغ درجة من الذكاء التكنولوجي لم تكن في حسابات المبرمجين فطوّر نفسَهُ بنفسِهِ متجاوزا، بل خارقا، كل معايير السلامة التي وضعها البشري ليضمن بقاءه ويُحكم السيطرة على ما أنجزه عقله ويديه.

مفهوم الذكاء الاصطناعي

توجد محاولات عديدة لتعريف الذكاء الاصطناعي أو المعروف اختصارا بـ Artificial Intelligence « AI »، منها القانوني التشريعي والتقني الذي يركّز على مكونات أنظمة الذكاء، وأساسها الخوارزميات والحواسيب، أو من خلال وظائفها وما يمكنها القيام به ويضاهي إنجازه الذكاء البشري أي يحاكي القدرات الذهنية للإنسان وقد يفوقها خصوصا في سرعة التنفيذ. ويقترب هذا الطرح من التعريف الذي وضعه الأب المؤسس (كما يعتبره البعض) لمصطلح الذكاء الاصطناعي *جون مكارثي* بأنّه "علم وهندسة لصنع آلآت وبرامج ذكية يقع التحكّم فيها عبر الكمبيوتر وهي تفكّر بذكاء بالطريقة نفسها التي يفكّر بها البشر، ويتحقّق ذلك عبر دراسة كيفية عمل وتفكير العقل البشري وطُرق تعلّمه لتصبح أساسا لتطوير تلك البرامج والأنظمة"[1].

وعلى الرغم من مزايا الذكاء الاصطناعي وبرامجه التي لا تحصى، فإنّه لا يخلو من عيوب وربما مضارٍ حتى قد تلحق بالبنى النفسية والاجتماعية-الاقتصادية لمستخدميه بوعيٍ أو دون وعي ممّا يجعل الفرد منا اليوم يعيش حالة من الاغتراب المضاعف، سنحاول في ما يلي الإشارة إلى بعضها.

تهديد كرامة الإنسان كقيمة في حدّ ذاتها

يمكن الانطلاق من العناصر الثلاث التي اعتبرها هاربرت ماركيوز من أهم سمات المجتمعات التقانية: "الرّفاه، الفعالية، افتقاد الحرية في إطار ديمقراطي، ذلك ما يميز الحضارة الصناعية المتقدّمة ويشهد على التقدّم التقني"[2].

كأنّنا بصدد تحوّل الإنسان إلى شبه عاطل كليّا حتى في المهام والأنشطة اليومية؛ كتلك المتعلّقة بحاجاته الحيوية كالأكل والشرب التي أصبحت تتكفّل بها آلآت عديدة وعجيبة من تقشير بصلة مثلا إلى فرمها.. دخلت تلك العناصر كمساعد ومسهّلٍ لحياته من باب أنّها "مفيدة" وشيئا فشيئا أصبحت ضروريات من زاوية ربح الوقت، باعتبار سرعة الحياة الاصطناعية التي يعيشها إنسان اليوم والتي لا تسمح بالتأمّل أو الرويّة وشمّ روائح الطبخ مثلا. فغدت بذلك مفروضة بما يزيد من حالة "الارتباط" المتأتي من مُسلّمة "التسهيل" (تسهيل الحياة اليومية). فأنت في صراع مع الوقت يجب أن تسْرِع وإنْ ليس لديك ما تنجزه، فما تعتقد أنه وقت حُرّ ليس بالحُرّ بل هو ملكٌ لجهازٍ من الأجهزة أو تطبيق ما.. تتخبّط مراوحا بين الأجهزة والآلآت تتقاذفك البرمجيات وأزرار التشغيل. وإنْ أردت الخروج قليلا لتغذية روحك وحواسك وعقلك بالقراءة مثلا، يكون ذلك عبرها وتبحث عن المعلومة أيضا، وإن بسيطة، من خلالها.

وفي تناقضٍ واضح، كلّما زادت رفاهيتنا المزعومة بسهولة الحياة مقارنة بما كانت عليه قبل قرون، زاد اغترابنا وتعاستنا وصرْنا أشبه بالكّراتين..نسير في الشوارع هائمين دون وجهة معلومة مُعيدين الكَرّة كلّ صباح بمللٍ لكن دون انقطاع. فذكاءنا يتجلّى قبل كلّ شيء في المجال الفيزيائي أو الاجتماعي أي في التعقيد الغريب لسلوكياتنا اليومية المتكرّرة فلن يستطيع الذكاء الاصطناعي إذن أن يصل إلى هدفه لأنه كلّما اقترب من ذلك يتغير هذا الهدف (..) فنحن اليوم مجبرون بصفة شبه يومية على أن نثبت للآلآت أننا نستحقّ لقب إنسان[3].

لماذا أصبح علينا لزاما التفكير في مزيد من الرّفاهية والتطوّر؟ وما مردّ تلك الافتراضات الطوباوية بحلولٍ تكنولوجية مبهرة لكل شيء؟ بما لا يترك مجالٍ للتفكير المتأني ومحاولة إيجاد حلول حتى لمشكلات بسيطة. ربما الإجابة تكمن فيما سعت له الشركات المصنّعة والمنتجة منذ عقود على تدريب الأفراد والأذهان على هذا النسق عبر أفلام الخيال العلمي وما بثّته من خرافات تقانية مبْهمة لكنّها تثير الدهشة مثل الروبوتات والآلآت التي تحاكِي الملكة الصوتيّة للإنسان. ويأتي ذلك ضمن سياق تدعيم فكرة ربط تحديد مصائر الأفراد بما يملكون ومدى قدرتهم على مزيد من الاستهلاك والمراكمة؛ فلئن تغيرت وتطوّرت وتلوّنت طُرق وأساليب وأدوات الهيمنة والاستغلال من لدنّ الحيتان الرأسمالية فإنّ الغاية ثابتة وواضحة. فإذا نظرنا إلى طريقة التعامل مع البيانات الشخصية في الأنظمة الخوارزمية نجد أنّها لا تخلو من

سلعنة هي الأخرى في "سوق افتراضية" لا يرجى منها سوى مزيد من الرقابة والتحكّم، وهو ما نبّه له *جاثان سادوفسكي* في كتابه "الميكانيكي واللاضي"[4] من ارتباط وثيق بين التكنولوجيا والرأسمالية نافيا محاولات التجميل الأخلاقوي من قبل شركاتها. يتجلّى ذلك في التلاعب الذي تمارسه الومضات الإشهارية التي أصبحت بدورها تعتمد على الذكاء الاصطناعي، باعتبار ما للأخير من قدرة وسرعة على الإقناع الشديد ممّا يجعل اتّخاذ القرار بالنسبة للفرد يكون غير مفكّر فيه أساسا بل موجّها بشكل مباشر و واضح من خلال توظيف واستغلال معطيات المستخدمين.

أضحت بيئة الأفراد وأنشطتهم ومعطياتهم متاحة للقراءة الآلية- الالكترونية وسهلة الاختراق، باعتبار أنّ تطبيقات الذكاء الاصطناعي وبرمجياته تطلب باستمرار بيانات المستخدمين ليست الشخصية فحسب بل الفنية والميولات المعرفية أيضا كالذوق والتحيّز الفكري. يتمكّن بذلك الذكاء المصنّع من تكوين فكرة على المستخدم تخوّل له عرض الإشهارات مثلا والعروض التجارية المناسبة على مقاسه تماما دون أن يطلبها أو بمجرّد أن يفكّر(وقد لا يفكر حتى) فيها أحيانا. يقدّم كوهين مثالا على ذلك في معرض حديثه عن الإنسان الرقمي: "تجمع الخوارزميات بين تفضيلات بروست وديستويفيسكي من دون أيّة معرفة أدبيّة، فهي تكتفي بملاحظة أنّ محبّي أحدهما هم أيضا محبو الآخر. ثمّة ذكاء غبي يعمل هنا في الواقع"[5].

ذلك التوجيه الذي يعتمد على معطيات مسبقة للمستخدمين يقوّض سلامتهم النفسية وبالتالي ضرب الحقوق الأساسية للأفراد، وأهمها الاستقلالية والخصوصية (حق دولي مكفول حسب المادة 12 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) إلى جانب المساس من حرية الفكر والتعبير وأخذ القرار وتقرير المصير الحرّ. لذلك ذهبت بعض الدول إلى وضع قواعد واستراتيجيات لتنظيم عمليات استخدام الذكاء الاصطناعي سعيا لحماية الحقوق الأساسية من الانتهاكات المحتملة، ومنها دول الاتحاد الأوروبي وأمريكا، في حين لم تعِ دول أخرى بعدُ بالمخاطر التي قد تنتج عن سوء استخدام وتوظيف أنظمة الذكاء الاصطناعي على الأفراد والمجتمع.

Canva

التهديدات الاجتماعية والاقتصادية المحتملة

يَعتبر روّاد مدرسة فرانكفورت وأبرزهم هاربرت ماركيوز أن "العقلانية التكنولوجية"، في دلالة عن الهيمنة والسيطرة، هي غاية وهدفا أساسيا سعت له المجتمعات الصناعية. يبرز ذلك في تدرّج كل مُنتَج تقني ينطلق من كونه "مفيدا" ليصبح "ضروريا" ومن ثمّة يتحوّل إلى "مفروضا" سيشكل حتما خللا اجتماعيا، فمن المحتمل أن يتعمّق الاغتراب الوجداني والعاطفي لدينا بالتركيز على أنظمة ذكاء تحاكي العواطف الإنسانية: كالتعلّق والهروب من الوحدة، والبحث عن الاهتمام والاعتراف. وفي حال توفّرت بعض تلك العناصر يصبح من السهل تحويل الفرد إلى "مرتبطٍ" ومن ثمّة مدمن ومتقوقع، وهو ما يزيد من حالات تفكّك العلاقات الاجتماعية بمستويات متعدّدة (أسريّة، مهنية..) تقوّض الأمن والتضامن الاجتماعيين.

كذلك تعميق الفجوة الرقمية والهوّة الطبقية بين من يمكنهم ومن لا يمكنهم توفير/ امتلاك الإنترنت (باعتبارها مقوّما أساسيا لاستخدام ذلك الذكاء) ثم القدرة والمهارة على استخدامها، بالتالي مزيد إقصاء وإبعاد المقصيّين أصلا وازدياد حالات اللايقين واللاعدالة

مقابل التنامي السريع للذكاء الاصطناعي ونظمه التي لا يمكن حصر نتائجها أو الكيفية التي تطوّرت بها حتى بَلَغْتنا، فنحن إزاء نوع جديد من التحيّز يمكن تسميته بـ "التحيّز الخوارزمي".

تعيش تلك الخوارزميات والأنظمة بدورها صراع إثبات جدوى فتحارب نفسها بنفسِها أو تخلق شبه "مقاومة الكترونية" محتملة لنظم أخرى، مثلا في عملية التعرّف التي تظهر على الشاشة في جلّ عمليات البحث ونعني بذلك سؤال: "هل أنت روبوت؟" كمحاولة ربما لإقصاء الروبوتات الإلكترونية، فمن عجب زمننا أن تختبرنا آلة وعلينا أن نثبت لها بأنّنا لسنا بآلة مشابهة لها!

فإن ذاك الذكاء المبرْمج يؤثّر حتما على العمل كمكوّن أساس لحياة الأفراد الاقتصادية وركيزة لاستقرارها، من حيث تكافؤ الفرص ونقصها، بل واندثار الكثير من المهن التي كانت حكرا تعتمد على الذكاء البشري الذي وقع استبداله فتراجع لمرتبة ثانية (وربما دونها..لا نعلم حقيقة ما سيحصل) بعد أن كان الإنسان أذكى الكائنات. يفرز ذلك مزيدا من البطالة والعطالة الاقتصادية وتآكل قيمة العمل وما سينتج عنه من انعكاسات اجتماعية أمام تغوّلٍ آلي ورقمي غير مسبوق.

لقد وصلنا اليوم إلى مرحلة أصبح علينا لزاما أن نضع أنفسنا وعقولنا في موضع مساءلة مستمرّة كلّما زادت قدرات الآلة والتقنية من حولنا، وظهرت أخرى جديدة. بالتالي سيظل صراع الفرد مع التجاذبات الخارجية وجوهر إنسانيته قائما، وهو صراع قديم- متواصل. لذلك لازلنا نقاوم التجريد واختزال الإنسان أو الفرد في الجانب العقلاني، وغلبة الجدوى على ملكة الحِسّ والقِيم. مُدركين بالتجربة المآل النهائي لكل تناسُلٍ سريع للبرمجيات التي ما إنْ تبلُغ ذروتها حتى تتراجع ويخفت بريقها لتحلّ محلّها أخرى، في تشابه بالحالة البشرية: قلقٌ وملّلٌ دائمين...

الهوامش

1. John McCarth’s home page-Formal Reasoning Group-Stanford, http://www-formal.stanford.edu/jmc/ ، تاريخ زيارة الموقع: 15/06/2025.
2. هاربرت ماركوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ت. جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1988،ص37.
3. فريدريك كابلن وجورج شابوتييه، **الإنسان والحيوان والآلة**، ت. ميشيل نشأت شفيق حنا، مؤسسة هنداوي، لندن، 2015، ص. 40.
4. اللاضي هو مصطلح مشتق من الحركة الاجتماعية العمّالية "اللوديونية" أو "اللودية" (Luddisme)، التي ظهرت بأنجلترا بين 1811- 1817 وكانت مضادة للثورة الصناعية لما خلّفته من أضرار مسّت خاصة الحرفيين والعمّال اليدويين الذين خسر بعضهم مورد رزقه نتيجة للآلات والمصانع. وتعود تسميتها نسبة لقائد الحركة Ned Ludd، أصبحت هذه الحركة رمزا للمقاومة خصوصا التكنولوجية منها.
5. دانيل كوهين، **الإنسان الرقمي والحضارة القادمة**، ت. علي يوسف أسعد، دار صفحة 7، الجبيل، 2022، ص41.

تصميم الصورة في عصر الذكاء الاصطناعي: التحولات المفاهمية

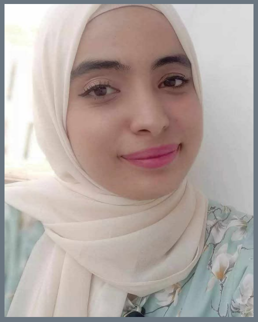

بقلم: كوثر بن حميدة

طالبة ماجستير

بالمعهد العالي للفنون الجميلة بنابل.

" لم تعد الصورة مجرد انعكاس للعالم الخارجي أو تمثيلا له، بل أصبحت وسيلة مهمة لإعادة تشكيل العلاقة بين ذات المبدع والعالم "

نعيش في عصر يشهد تقاطعاً وانصهاراً غير مسبوقين بين الفنون البصرية وفنون التصميم، حيث أصبح كلا المجالين يتبادلان التأثير بشكل ديناميكي. في هذه الحقبة المؤثرة، يلعب التصميم دوراً محورياً ليس فقط كأداة بصرية بل أيضاً كوسيلة اتصال تتجاوز حدود الجمالية لتلامس جوانب إبداعية وثقافية وفكرية .التطورات التكنولوجية، مثل الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي، قد أضافت أبعاداً جديدة لهذا التداخل، مما أتاح للفنانين والمصممين أدوات ووسائل غير تقليدية لتجسيد رؤاهم الإبداعية. وبالتالي، نحن على أعتاب حقبة جديدة يعاد فيها تعريف التصميم بوصفه جسراً يربط بين الفن، الثقافة والتكنولوجيا، مما يفتح آفاقاً لإعادة صياغة هوية الإبداع في العصر الرقمي

تكاد التساؤلات المفاهيمية حول علاقة الانسان بالآلة تكون مسكوتًا عنها ومازال الخطاب الفلسفي حيال الممارسة التكنولوجية غامضًا. في الفكر المعاصر لم تعد الصورة مجرد انعكاس للعالم الخارجي أو تمثيلا له، بل أصبحت وسيلة مهمة لإعادة تشكيل العلاقة بين ذات المبدع والعالم. في سياق تحول الرقمي والذكاء الاصطناعي أصبحت الصورة بمثابة مساحة ديناميكية تتقاطع فيها الرؤية والذاكرة والبرمجة. ذلك يجعلها تجربة "متداخلة" يشارك فيها الذات المبدع جنبًا الى جنب مع شبكات الخوارزميات الذكية.

وبهذا المعنى لم تعد الصورة نافذة يراقب الذات من خلالها العالم بل أصبحت مرآة معقدة تُكشف فيها الذات. إن الحاسوب مثله مثل بقية الآلات المكتشفة قد يساهم في دعم الفعل التشكيلي في هذا المستوى تُطرح تساؤلات حول المفاهيم الادراك وتمثل والواقع وتُؤسس لفهم جديد للوساطة البصرية في عصر ما بعد التصوير الفوتوغرافي.

في عصر تهيمن عليه الرؤية والانتشار السريع للصور، اكتسب تصميم الصورة وظائف جديدة تجاوزت التصميم والتسجيل لتصبح أدوات للتحليل والابداع، مما يستدعي طرح السؤال التالي: **كيف يمكن أن تؤثر الممارسة التكنولوجية في تصميم الصورة على الإجراء والمفاهيم وما تخلقه في ذات المبدع؟**

استعملت مجموعة Obvious الفرنسية عن طريق أعضائها الثلاثة (بيير فوتريل، هيوغو كازيل-ديريي، وغوتييه فيرنييه) التقنيات الرقمية لتوليد أعمال فنية غير تقليدية. في تطوّر لافت لمقاربتها الفنية، عبّرت الجماعة عن طموح جديد يتمثل في إحياء روح **السريالية** من خلال خلق "سريالية جديدة" تُجاري روح العصر الرقمي الخوارزمي. ومن خلال تساؤلاتهم المتواصلة حول آليات الإبداع، وموقع الفنان في مواجهة الأداة، طوّر الفريق تقنية تقوم على الدمج بين **خوارزميات الذكاء الاصطناعي** وتقنيات **التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (IRM)**انطلاقا من تخطيط الدماغ العصبي. الهدف كان ترجمة **الصور الذهنية والخيالات اللاواعية إلى صور مرئية ملموسة .** تسمح هذه المنهجية الجديدة بإعادة تكوين الصور الذهنية المستبطنة أي الصور التي يراها الإنسان في ذهنه أو يتخيلها، بهذا الأسلوب **للمخفي**. هذه الرؤية تلتقي مع جوهر الطموح السريالي الذي لطالما رفض الفصل بين الواقع والحلم، العقل والمنام، المادي والمجرد، ساعيًا إلى تحرير اللاوعي وإدماجه في التعبير الفني. ويُشكّل هذا المسار نوعًا من **التحوّل المعاصر للسريالية**، يُعيد صياغة العلاقة بين الفنان، الآلة، والخيال، في سياق تكنولوجي جديد.

تظهر الاعمال التي أنتجتها Obviousأن الصور لم تعد مجرد سجلات للحاضر، بل اصبحت وسيلة معرفية لتخيل الحاضر واستشراف رؤى جديدة. وبالتالي تصبح الصورة أداة للتفكير والتحليل والابداع بإضافة الاستفادة من البيانات والانماط والذكاء الحسابي لتشكيل الصورة وتمنح هذه الوظيفة الجديدة الصورة دورًا ثقافياً وفلسفيا تتجاوز بعدها الجمالي.

قد يفرض علينا الذكاء الاصطناعي كذلك ما قاله جان كلود شيرولي في مؤلفه "الجماليات والتقنية العلمية: نحو ثقافة تكنوجمالية"، أطروحة تأسيسية تسعى إلى تخطي الانفصال التقليدي بين الفن والعلم، من خلال الدفاع عن ولادة نمط ثقافي جديد يُعرّفه بـ"الثقافة التكنوجمالية-*la culture techno-esthétique*)". في هذا التصور، لا تعود التكنولوجيا مجرد أداة أو وسيط في يد الفنان، بل تتحول إلى حاضنة جمالية أو لغة تُمكّن من إبداع صيغ جديدة من الإدراك والمعنى. يقدّم شيرولي قراءة فلسفية تتقاطع مع الإرث الهايدغري، حيث يُفهم الجمال بوصفه تجربة تكشف عن الكينونة، غير أن هذه الكشوف لم تعد حكرًا على اللوحة أو النحت، بل باتت تتجلى في الفضاء الرقمي، في الخوارزميات تحديدا، وفي التفاعلات بين الإنسان والآلة . يقترح شيرولي أن التكنوجمالية ليست تشويها للجمال أو تقليصًا له، بل هي توسيع **لأفق الحسّي** والتجربة الفنية عبر

إعادة تشكيل الحواس والعلاقات الزمكانية من خلال التكنولوجيا.

فالفن ضمن هذا الإطار، لم يعد يتمحور حول التعبير الذاتي أو التجربة الفردية فحسب، بل صار فضاءً تفاعليًا تتقاطع فيه المعرفة و التصميم، والشفرات، والنظام. ومن هنا، فإن "الثقافة التكنوجمالية" تمثّل تحوّلاً إبستمولوجيًا وجماليًا في آنٍ واحد، تفرض على المتلقي كما على الفنان أن يعيد بناء مفاهيم مثل الجمال، والإبداع، في زمن أصبحت فيه الآلة شريكًا في صناعة الحسّ والمعنى. في هذا السياق لا يقترح شيرولي فقط إطارًا نظريًا لفهم الفن الرقمي، بل يفتح أيضًا أفقًا فلسفيةً لإعادة تأويل علاقتنا بالعالم من خلال وسائط اصطناعية، تتقاطع فيها التقنية مع الروح، والبرمجة مع الخيال، والوظيفي مع الجمالي.

في تقاطع بين الطرح الفلسفي لجان كلود شيرولي حول "الثقافة التكنو جمالية" والرؤية الإدراكية المعمّقة التي يقدمها برتوز ورفاقه في "معاهدة الواقع الافتراضي"، تبرز ملامح تحول جذري في علاقة الإنسان بالفن والمعنى ضمن العصر الرقمي. إذا كان شيرولي يعتبر أن التكنولوجيا أصبحت حاضنة جديدة للجمال ومكوّنًا جوهريًا للحس الجمالي، فإن برتوز وآخرين يذهبون إلى أبعد من ذلك في تحليلهم للواقع الافتراضي، حيث تصبح البيئة الاصطناعية إمتدادًا للرؤية والتصوّر، بل فضاءً يُعاد فيه تشكيل الإدراك نفسه.

تتقاطع "التكنوجماليات" مع ما يسميه برتوز "الإدراك المجسّد ضمن الفضاء الافتراضي"، حيث لا يعود الفن مجرّد تمثيل، بل تجربة كلّية تنخرط فيها الحواس والحركية، والذاكرة. وبالتالي، يصبح الفعل الفني متجذرًا في نظام إدراكي متفاعل، فيه يتجاوز الإنسان حدود الواقع الفيزيائي نحو تجارب إدراكية مبرمجة، ولكنها مع ذلك مُعاشة بعمق

داخلي. إذن لا يمكن الفصل بين الفني والتقني، إذ إن الجمالية المعاصرة لم تعد تنبثق فقط من الموهبة أو الإلهام، بل أيضًا من فهم عميق لكيفية بناء العوالم الرقمية، وتوجيه الإدراك عبر أدوات تصميمية تفاعلية. من هنا، يصبح الفنان اليوم مهندسًا للانفعالات والمعاني، كما هو مبرمجٌ للحساسية. ويبرز الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي كمكوّنين أساسيين في هذه الصياغة الجديدة للخيال، التي تعيد طرح سؤال الجمال، لا كمفهوم ثابت، بل كإجراء تقني وتجربة متحوّلة باستمرار.

نشر الكاتب التشيكي كاريل تشابك (Karel Čapek)مسرحية بعنوان (Rossum's Universal Robots) سنة 1921 استعمل فيها لأول مرة كلمة *"روبوت"* للإشارة إلى الكائن الصناعي. إذا عدنا الى جذور هذا المصطلح السلافي "رابورتا" ، نجد أنه يعني حرفيا *العمل* لكنه يتجاوز ذلك إذ يتصل بكلمتي (روب/راب) التي تعنيان العبد أو المستعبد يصف المؤلف في مسرحيته بأنها عرق من الآلات صمم ليعمل بدلا من الانسان ولكن بسرعة ما تنقلب هذه "الكائنات" على ساداتها فيجد الانسان نفسه محاصرا في موقعه البدائي وعديم النفع في نظر الروبوتات فيلقى مصيره التراجيدي محتوما. وبذلك دخلت الروبوتات الى الثقافة الغربية ككائنات تمثل الخلق الاصطناعي المرتبط بالتمرد والبحث عن المعنى والهوية. هذا المثال يشير لعلوية الروبوتات وهنا نعيد التساؤل عن جدوى الحديث عن الإبداعية. يتجاوز الإنسان ذاته كلما قرب من تحقيق كائن في صورته فيعبر عن رغبته في تخطي حدود الطبيعة بل يطمح بأن يصبح خالقًا من خلال قدرته على التحرر. إن تحكم الآلة في عملية الابداع والتصميم الصورة قد يؤدي إلى سيطرة كاملة على العملية الإبداعية وهذا ما يعرف بالمصطلح "تكنوفوبيا" ولعله عصر الصدمة من توغل تكنولوجيات الحديثة.

في سياق الفن، عندما تنفتح النقاشات الأخلاقية والفلسفية التي يثيرها هذا الموضوع تصبح مسألة الذكاء الاصطناعي التزاما بتحقيق هذه التصورات كأدوات علمية. هذه الكائنات الاصطناعية باتت جزءًا من الحياة اليومية وكذلك من المشاريع الفنية. يلبس الخلق الفني ثوبا جديدا مع الذكاء الاصطناعي إذ ما يميز الإبداع الفني هو أنه ينبع من التجربة والعاطفة والوعي بالذات، وهي خصائص للفنان الإنسان مازال الذكاء الاصطناعي بعيدًا عن بلوغها بشكل كلي. ومع ذلك، يهدد التطور السريع في التقدم التكنولوجي بإلغاء الفروق الجوهرية بين ما هو فني وما هو صناعي.

> ”
> يهدد التطور السريع في التقدم التكنولوجي بإلغاء الفروق الجوهرية بين ما هو فني وما هو صناعي
> “

تمثلات الجسد الأنثوي في الخزف المعاصر وتوظيف الذكاء الاصطناعي لدى جوسيفا نتجام

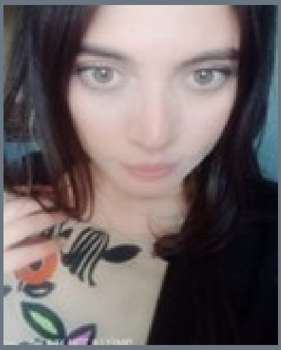

بقلم: سلوى مباركة علوي

دكتورة في جماليات الفنون وممارساتها مدرسة متعاقدة بالمعهد العالي للفنون والحرف بسيدي بوزيد

" يشكل الجسد الأنثوي محورا مركزيا في التجربة الخزفية للفنانة جوسيفا نتجام "

في عصر يشهد تحولات تقنية وثقافية متسارعة، يبرز الخزف المعاصر كحقل إبداعي يتحدى الثوابت الفنية والتقليدية، ليكون منصة خصبة لاستكشاف موضوعات الجسد والهوية من خلال دمج الحرفية مع التقنيات الرقمية الحديثة. في هذا السياق، تشكل أعمال الفنانة جوسيفا نتجام نموذجا رائدا في استثمار إمكانيات الذكاء الاصطناعي لتوسيع آفاق التمثيل الفني للجسد الأنثوي، الذي يتجاوز الأبعاد البيولوجية إلى أفق معرفي متداخل بين المادة والرمز، التاريخ والخيال، الإنسان والآلة.

توظف جوسيفا نتجام الذكاء الاصطناعي كعنصر فاعل في خلق رؤى فنية جديدة، تعيد من خلالها قراءة الجسد الأنثوي ككيان متعدد الطبقات يحمل دلالات ثقافية واجتماعية، في آن واحد، ويعيد بناء سردياته في إطار معاصر يحترم تراثه ويستشرف مستقبله الرقمي. هذه الدراسة تسعى إلى تحليل هذه التمثلات ودراسة كيفية استثمار التقنيات الرقمية في الخزف، مع التركيز على تأثيرات الذكاء الاصطناعي في إنتاج صورة فنية تنبثق من تقاطع المادة والمعرفة، وتعيد تأويل مفاهيم الهوية والجسد في الفن المعاصر.

فكيف تُعيد جوسيفا نجام بناء تمثلات الجسد الأنثوي في أعمالها الخزفية، وما الدور الذي يلعبه الذكاء الاصطناعي في صياغة هذا الجسد بوصفه كيانا متحولا بين الأسطورة والتكنولوجيا؟

وإلى أي مدى يتيح تداخل الخزف كفن مادي والذكاء الاصطناعي كأداة توليدية إعادة التفكير في المفاهيم التقليدية للجسد خصوصا في السياق ما بعد الكولونيالي والنسوي؟

تمثلات الجسد الأنثوي في الخزف المعاصر في تجربة جوسيفا نتجام

يشكل الجسد الأنثوي محورا مركزيا في التجربة الخزفية للفنانة جوسيفا نتجام، حيث تتعامل معه لا كعنصر زخرفي أو نموذج تشكيلي فحسب، بل كحقل دلالي مشحون بالرموز والتوترات الاجتماعية والثقافية. ففي أعمالها، يظهر الجسد بوصفه كيانا هشا متشظيا، لكنه في حالة دائمة من التشكل والانبعاث، معتمدا على خامة الطين باعتبارها امتدادا حسّيا وماديا للجسد الإنساني. وفي نفس هذا الإطار،يقول أحمد عبد السلام: "يُعتبر الخزف المعاصر امتدادا لتجارب تقليدية لكنه يتميز بتجاوزه للوظيفة إلى التعبير الجمالي والفلسفي، حيث يعكس من خلال الخطوط والأشكال تفاعلات الفنان مع متغيرات العصر [1]".

تستثمر جوسيفا نتجام الخصائص اللدنة والمتحولة للمادة الخزفية لتعبّر عن تحوّلات الهوية الأنثوية، فتُحيل التشققات والكسور الظاهرة على أسطح القطع إلى استعارات بصرية للذاكرة الجسدية، ولبنى القمع والمقاومة التي تختزلها الذات النسوية، وذلك في انسجام مع ما تطرحه جوديث بتلر "من أن الجسد ليس كيانا طبيعيا جامدا، بل يُشكل داخل الخطاب الاجتماعي والثقافي ويُعاد إنتاجه عبر الممارسة[2]".

وبهذا، يتجاوز الجسد الأنثوي في أعمال نتجام التمثيل النمطي السائد في الفن التقليدي ليتحول إلى فضاء نقدي واستعادي، يسترجع فيه معناه وطاقته الرمزية عبر لغة تشكيلية معاصرة تقوم على التداخل بين المادي والرمزي، بين الذاتي والسياسي. وتنسجم هذه المعالجة مع الطروحات النسوية المعاصرة التي ترى في الجسد وسيطا للمقاومة وإعادة صياغة الهوية، وليس فقط مرآة للأنوثة المثالية أو الجماليات الموروثة. الجسد هنا ليس موضوعا للنظر، بل فاعلا بصريا، يكتب تاريخه في الطين، ويعيد تشكيل ذاكرته عبر الخزف. وهذا ما تبينه الصورة (رقم 01).

يتخذ العمل شكل تمثال خزفي مزجج، وقد نُفذ بتقنية التشكيل اليدوي للطين، متبوعا بالحرق العالي والتزجيج الشفاف الذي يمنح سطحه لمعانا عضويا يوحي بسيولة الماء. يتألف التكوين من كتلة خزفية مركزية تنبثق منها ثلاثة رؤوس بشرية التكوين، تتجه بزوايا مختلفة في فضاء غير متوازن بصريا، وهو ما يُنتج حالة من التوتر التركيبي والانفتاح الرمزي. ملامح الوجوه تعكس بوضوح الجذور الإفريقية للهوية، بينما الجسد غائب أو مختزل، في محاولة لتكثيف الحضور الذهني والرمزي للرأس بوصفه حاملا للذاكرة والوعي.

تقنيا، تستثمر جوسيفا نتجام خصائص الطين كمادة تتفاعل مع الضغط والحرارة والزمن، فتُشكّل الكتلة أولا عبر اليد، ثم تدخلها في سياق كيميائي حراري ينتج الشكل النهائي، الهش والمتين في آن واحد. إن هشاشة الخزف الظاهرة تتناقض مع ثقل المعنى، ما يعزز فكرة الجسد كهوية مقاومة، لكن معرضة دوما للانكسار. أما التزجيج، فيمنح السطح ملمسا لامعا وعاكسا للضوء، يعيدنا إلى أصل الإلهة مامي واتا، ككائن مائي، قادر على التحول، ويجمع بين الإغواء والخطر والشفاء.

من خلال هذا الشكل الهجين، تعيد نتجام بناء صورة الجسد الأنثوي ككائن متحول، قادر على التشكل بين الأنوثة والذكورة، الخير والشر، الجسد الطبيعي والأسطوري. وفي هذا السياق تقول جوديث بتلر: "لا يقدّم الجسد هنا كوحدة صلبة مكتملة، بل كهوية سائلة، تعكس المفاهيم التي صاغتها نظريات الجندر ما بعد الحداثية، والتي ترى أن الهوية ليست معطى ثابتا، بل نتاج سيرورة مستمرة من الأداء والتكوين[3]".

تُبرز الفنانة، من خلال التقنية الزخرفية نفسها، انفتاح المادة على التغيير، حيث يُستثمر الطين بوصفه خامة جسدية قابلة للتشكل والانبعاث. ويعكس التزجيج الزجاجي الذي يغلف السطح طابعا مائيا يوحي بالسيولة والتحوّل، في توافق بصري مع طبيعة مامي واتا ككائن مائي عابر للحدود.

بهذا الشكل، يوظّف العمل الجمالية الخزفية كأداة تفكيك وتمثيل رمزي لهوية أنثوية ما بعد استعمارية، تعيد كتابة سرديتها خارج ثنائية الهيمنة والخضوع، وتستدعي الذاكرة الأسطورية بوصفها قوة رمزية مقاومة. وهكذا، تُعيد جوسيفا نتجام الاعتبار للجسد الأنثوي ليس بوصفه موضوعا للنظر أو الاستهلاك، بل كفاعل مبدع ومقدّس، قادر على إعادة بناء علاقته

صورة رقم 01: جوسيفا نتجام، جينغو- مامي واتا، 40*40 صم، منحوتة خزفية مزججة، 2021، لندن.

Josèfa Ntjam, Jengu – Mami Wata, sculpture en céramique émaillée, 40*40 cm, 2021, london.

بالعالم والذاكرة الجمعية من خلال "الفن الخزفي بوصفه أداة مقاومة وطقسا للشفاء [4]".

عُرض هذا العمل ضمن المعرض الفردي للفنانة بعنوان " Molecular Genealogies"، الذي أقيم في غاليري Nicoletti سنة 2021. وقد جاء المعرض بوصفه مشروعا بصريا بحثيا يستقصي تاريخ ما بعد الاستعمار، والذاكرة الجماعية، وعلاقات القوة من خلال أساطير إفريقية ومرجعيات خيالية وعلمية.

في هذا السياق، جاء عمل " Jengu – Mami Wata، كقطعة محورية، تزاوج بين التمثيل الخزفي التقليدي والطرح النظري المعاصر، حيث تُقارب الفنانة الجسد الأنثوي كمنظومة متداخلة من الرموز، وتعيد استحضاره داخل فضاء فني يدمج بين الطقس الأسطوري، والهوية السياسية، والتكوين الجمالي.

من خلال هذا التداخل بين الخزف كوسيط مادي، والأسطورة كمرجع رمزي، وسياق العرض كإطار نقدي معاصر، يتجاوز العمل الطابع التشكيلي ليغدو بيانا بصريا مفتوحا حول الأنوثة، والتعدد، والتحول، والذاكرة والمقاومة. "يُبرز هذا الاشتغال الفني وعيا نقديا تجاه التمثلات النمطية للجسد النسائي في الفن الغربي الحداثي[5]"، "ويستبدلها برؤية تستند إلى فلسفات أفريقية بديلة تحتفي بالدورة الطبيعية، بالماء، وبالتحولات المستمرة للذات والهوية [6]".

في ضوء ما يطرحه عمل " Jengu – Mami Wata"من توترات بصرية ومفاهيمية، يتبيّن أن تمثيل الجسد الأنثوي في تجربة جوسيفا نتجام لا يندرج ضمن المقاربات الزخرفية أو التمثيلية النمطية، بل يتجاوزها نحو أفق تفكيكي – إبداعي، يُعيد قراءة الجسد كموضوع ثقافي مركّب. فالجسد في هذا العمل ليس كيانا مكتمل الشكل أو مستقر المعنى، بل هو فضاء متحوّل، هجين، مفتوح على الطقس والأسطورة والهوية السياسية. وتأتي المادة الخزفية لتخدم هذا التمثيل، لا بوصفها خامة فنية محايدة، بل كوسيط رمزي يتقاطع مع الجسد من حيث الليونة، القابلية للتشكل والتأثر بالتاريخ والحرارة والضغط.

وبذلك، يُمكن اعتبار هذا العمل نموذجا دالا على كيفية توظيف الخزف المعاصر كأداة جمالية ونقدية في تمثيل الجسد الأنثوي، بعيدا عن الاستلاب البصري والتمثيلات الذكورية، مقتربا أكثر من مقاربة نسوية – ما بعد استعمارية، ترى في الجسد أداة سردية وموقعا للمقاومة والذاكرة. فالفن الخزفي لدى نجام لا يُنحت الجسد فقط، بل يُعيد نحت التصورات الثقافية المترسبة حوله، ويقترح أنماطا بديلة للرؤية والتفكير والتلقي، تتأسس على التعدد والاختلاف لا على الثبات والنمطية.

تُقدّم الفنانة الكاميرونية جوسيفا نتجام في أعمالها، لا سيما في مشروعها Jengu – Mami Wata، مقاربة فنية جذرية لتمثّل الجسد الأنثوي من خلال وسائط متعددة تشمل الأداء، الصوت، والمواد النحتية كالسيراميك والخزف. في هذا السياق، يتجاوز الجسد الأنثوي في أعمالها كونه عنصرا ماديا أو بيولوجيا، ليتحول إلى وعاء رمزي يحمل طبقات من المعاني الثقافية، الروحانية، والسياسية. إذ تستدعي الفنانة ميثولوجيات أفريقية تقليدية، مثل "Mami Wata"- إلهة الماء والأنوثة والتحوّل – لتعيد تشكيل صورة الجسد النسائي كقوة كونية ذات طابع مزدوج: مُغوٍ ومُطهّر، ومُهدد ومُقدّس[7]".

في تجربتها الخزفية، يتمثل الجسد الأنثوي في أشكال عضوية منحوتة بعناية، تتجاوز المحاكاة الواقعية، لتستبطن طابعا تجريديا يمزج بين المادي والروحي. "فالسطوح الخزفية التي تستخدمها نتجام غالبا ما تكون مشققة، متعرجة، أو ذات طبقات لونية مائية تفتح مجالا لتأويل الجسد كأرضية للذاكرة، للألم، وللشفاء[8]". وفي كثير من الأحيان، "تُدرج الفنانة عناصر طبيعية مثل الرمل، الطين، والألياف النباتية ضمن تركيباتها، لتربط الجسد الأنثوي بالأرض والخصوبة، وتُحمّله دلالات بيئية وجندرية عميقة[9]".

تُعد جوسيفا نتجام من الفنانات المعاصرات اللواتي استخدمن وسائط الخزف بطريقة تتجاوز البُعد الجمالي لتخوض في قضايا الهوية، الجندر، والجسد الأنثوي تحديدا. في أعمالها، يتحول الخزف إلى وسيلة للتعبير عن تجارب النساء، والآلام الجسدية والنفسية التي يواجهنها، في تفاعل مع إرث ثقافي واستعماري طويل. تُقدم نتجام الجسد الأنثوي لا بوصفه موضوعا للتأمل الجمالي فقط، بل كمجال للصراع، للمقاومة، ولإعادة التمثيل، في محاولة لتفكيك الصورة النمطية والسلطوية المفروضة على المرأة. وفي هذا السياق، تقول هدى جابر: "شهد الخزف في العقدين الأخيرين توجها نحو المزج بين الحرفية والتكنولوجيا، مما أتاح إمكانيات جديدة لتطوير التصميمات والمواد المستخدمة في الفن الخزفي[10]".

تعكس أعمالها توليفة بين الرقة التي يوحي بها االخزف كخامة، والقوة الرمزية التي تحملها الأشكال المجسدة للجسد، حيث تظهر التكوينات الخزفية غالبا مجزأة أو مُشوّهة، لتدلّ على العنف الرمزي والمادي الواقع على الجسد الأنثوي. تدمج الفنانة نتجام في هذه التجربة عناصر من الموروث الإفريقي، وتقنيات رقمية، في تجسيد متعدد المستويات يعكس عبورها بين المحلي والكوني، وبين الماضي والتكنولوجيا

"تُعد جوسيفا نتجام من الفنانات المعاصرات اللواتي استخدمن وسائط الخزف بطريقة تتجاوز البُعد الجمالي لتخوض في قضايا الهوية، الجندر، والجسد الأنثوي"

الحديثة.

بعدما استعرضنا كيف وظّفت جوسيفا نتجام الجسد الأنثوي كأداة مقاومة وتفكيك للتمثلات التقليدية ضمن وسائط الخزف، ننتقل إلى جانب آخر من تجربتها الفنية المتقدمة، وهو توظيف الذكاء الاصطناعي في أعمالها. يظهر هذا البُعد بوضوح في مساعيها لدمج الفن الرقمي بالتراث الإنساني والجسد، حيث تستعين بالتقنيات الذكية لإنتاج صور هجينة، متغيرة، وعابرة للزمن، ما يمنح أعمالها طابعا ديناميكيا جديدا. وهنا، لا يُعدّ الذكاء الاصطناعي مجرد أداة تقنية، بل يصبح شريكا إبداعيا، يُعيد تشكيل العلاقة بين الفنان، الجسد، والتقنية.

> ”في زمن تتقاطع فيه التكنولوجيا مع التاريخ والثقافة، تظهر أعمال الفنانة الكاميرونية جوسيفا نجام كمختبر بصري مفاهيمي يختبر الحدود بين الإنسان، الآلة والأسطورة“

توظيف الذكاء الاصطناعي لدى جوسيفا نتجام

في زمن تتقاطع فيه التكنولوجيا مع التاريخ والثقافة، تظهر أعمال الفنانة الكاميرونية جوسيفا نجام كمختبر بصري مفاهيمي يختبر الحدود بين الإنسان، الآلة والأسطورة. في عملها Mami Wata – Jengu (2021)، "تعتمد نتجام مقاربة متعددة الوسائط تمزج بين الصورة الأرشيفية، الأيقونات الميثولوجية، التقنيات الحديثة، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، لتوليد بنية سردية – بصرية متعددة الأبعاد...توظيف الذكاء الاصطناعي في العمل كوسيط جمالي ومعرفي يعيد تشكيل الرؤية البصرية للأسطورة ويطرح مساءلات فلسفية حول الهوية، الذاكرة، والمعرفة[11]".

تعمل الفنانة جوسيفا نتجام على تقاطع الفن المعاصر، التكنولوجيا، والميثولوجيا الإفريقية، حيث تستثمر أدوات الذكاء الاصطناعي (AI)كوسيط إبداعي لإنتاج صور وسيناريوهات خيالية جديدة تُعيد تشكيل التاريخ والهويّة. ولا يُعد الذكاء الاصطناعي في ممارستها مجرد أداة تقنية، بل بنية فكرية تُساهم في إعادة إنتاج العالم من خلال إعادة تخيل الأسطورة والذاكرة والهوية السوداء عبر "دمج عمليات التوليد، التحليل، والتحسين، ما يتيح للفنانين توسيع حدود التعبير الفني وتحقيق تفاعلات جديدة بين الإنسان والآلة[12]".

تستخدم جوسيفا نتجام الذكاء الاصطناعي في توليد صور هجينة، تقوم على دمج الأرشيفات المرئية (صور، رموز، قوالب بيولوجية وأسطورية) باستخدام برامج توليد الصور المعتمدة على التعلم الآلي. ومن خلال هذه التقنية: تُولّد كائنات بصرية جديدة لا تنتمي لعالم مرجعي تقليدي.

تمزج بين البشري، الحيواني، الآلي والروحاني، تنشئ مخلوقات مستقبلية تمثل أنماطا من المقاومة الثقافية لما بعد الاستعمار. مثال: في أعمال مثل Mami Wata on Screen وأJengu – Mami Wata، يستخدم الذكاء الاصطناعي لإعادة بناء صورة الكائن الأسطوري "مامي واتا" على هيئة رقمية، هجينة ومتحوّلة باستمرار. كما تبينه الصورة رقم (02).

ينتمي العمل إلى "سلسلة كولاج رقمية ضخمة تُطبع على قماش ووسائط شفافة، وتُبنى على طبقات مركبة من الصور الأرشيفية، عناصر بيولوجية دقيقة (خلايا، كائنات بحرية)، ورموز أسطورية من تراث غرب أفريقيا[13]". يُلاحظ هما توظيف مبكر لأدوات توليد صوري مستندة إلى الذكاء الاصطناعي، لا بصفتها وسيلة إنتاج فقط، بل "كعامل تحسين بصري معرفي (AI-refinement)، يعيد تشكيل النسيج اللوني، يعمّق الإضاءة، ويعيد تركيب الصور ضمن فضاء سائل[14]".

يُوظف الذكاء الاصطناعي في العمل ليس بصفته موضوعا بل بصفته بنية تشغيلية. "فبعد توليد الكولاج الأولي يدويا، تقوم الفنانة بإدخاله في منظومات معالجة رقمية تعتمد خوارزميات تنظيم الصورة، مثل أنظمة تعلّم آلي تضبط النطاق اللوني، تزيل الضوضاء البصرية، وتولّد انسجاما بين العناصر المتفاوتة[15]".

لا يقتصر دور الذكاء الاصطناعي على التوليد البصري، بل يستخدم كأداة لإعادة صياغة المخيال الرمزي. إذ تساعد الخوارزميات جوسيفا نتجام على تفكيك الأشكال الاستعمارية لتمثيل الجسد الأسود. وإعادة بناء الرموز الثقافية الإفريقية عبر محاكاة رقمية مفتوحة ونقد المفاهيم الكلاسيكية للهوية، الزمن، والمكان. "الذكاء الاصطناعي يحول الصورة الفنية إلى نظام حيوي يتفاعل مع البيانات، يغير معانيها ويخلق نسخا متعددة من الواقع، ما يمكّن الفنان من إعادة إنتاج سرديات بصرية تتجاوز الحدود التقليدية للزمن والمكان[16]".

الذكاء الاصطناعي هنا هو عامل تفكيك لغوي وسيميائي، يسمح بقراءة جديدة للأيقونات الثقافية من خارج النماذج الغربية. ضمن مشاريع تركيبية متعددة الوسائط، تُوظّف واجهات الذكاء الاصطناعي في تفاعل مباشر مع الجمهور، حيث يُمكن للمشاهدين المشاركة في توليد كائنات رقمية بأنفسهم. "تمنح خوارزميات التعلم الآلي الفنانين القدرة على استكشاف أشكال جديدة من الإبداع، حيث يصبح التفاعل بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي محفزا على إنتاج أعمال فنية تتسم بالتعقيد والغموض[17]".

تندرج التجربة الفنية بالذكاء الاصطناعي في صيغة مختبر توليدي، حيث يصبح الجمهور جزءا من عملية الخلق الفني. هذا التوجه يرسّخ مبدأ اللامركزية في الإنتاج الفني، حيث لا يكون الفنان هو المولّد الوحيد للمعنى، بل يُشارك الخوارزمي والناظر في صنع المعنى والرمز. "هذه التقنية لا تحاكي الواقع فحسب، بل تبتكر فضاء بصريا مغايرا، تنبع منه ميتافيزيقا بصرية جديدة تتجاوز حدود التجسيد التقليدي[18]".

تمارس نتجام عبر الذكاء الاصطناعي نوعا من الخيال المضاد، حيث تنتج رؤى مستقبلية لا تخضع للرؤية التكنولوجية الغربية المهيمنة، بل تنبع من جذور إفريقية وأسطورية. في هذا السياق، يصبح AIأداة لبناء ما بعد مستقبليات سوداء، وتتحدى النماذج المفروضة للابتكار والذكاء. " Jengu و Mami Wata"، هما رمزان أسطوريان من ثقافات أفريقيا الغربية والوسطى، يرتبطان بالماء، الغموض، الأنوثة، والسلطة الروحية[19]". غير أن نتجام لا تقدم هذين الرمزين في سياقهما التقليدي، بل تُعيد تركيبهما في فضاء رقمي – تكنولوجي جديد، مما يجعل "الذكاء الاصطناعي أداة لإنتاج أسطورة هجينة، سيبرانية، متحوّلة[20]".

تمثل ممارسات جوسيفا نتجام توظيفا راديكاليا للذكاء الاصطناعي، حيث يُستخدم كوسيط فني وكمفهوم نقدي في آن واحد. من خلال AI، تعيد نتجام إنتاج سرديات بديلة تتحدى الثنائيات الكلاسيكية بشري/غير بشري، أصالة/حداثة، أسطورة/علم، وتفتح فضاء فنيا معاصرا يمكن تسميته بالأسطورة التكنولوجية المتحوّلة. "ضمن قراءة ما بعد استعمارية، يقدّم العمل الذكاء الاصطناعي كأداة لاستعادة الذات من خلال إعادة كتابة الأرشيف، لا بوصفه ذاكرة ثابتة، بل كمجال مولّد للرؤية والمقاومة[21]".

تدمج نتجام صورا أرشيفية من تاريخ الكاميرون، الاستعمار الفرنسي، والخطابات الدينية، ثم "تعيد توزيعها بصريا عبر تقنيات AI، بما يسمح بتفكيك العلاقات المعرفية السلطوية التي صاغت تمثلات الهوية في خطاب الغرب[22]". وتضيف في

صورة رقم 02: جوسيفا نتجام، مامي واتا على الشاشة، 280*170 صم، كولاج رقمي، طباعة على الحرير، ليون، 2019.

Josèfa Ntjam, Mami Wata on screen, 280*170 cm, collage numérique, impression sur soie, 2019, Lyon.

نفس هذا السياق، فاطمة جبر: "في السياق الأفريقي، يُستخدم الذكاء الاصطناعي كأداة نقدية تعيد بناء الأرشيف وتتيح سرديات بصرية تحرر الهوية من قيود الهيمنة الاستعمارية، معززة حضور الذاكرة الجمعية والفردية[23]".

يتجلى الذكاء الاصطناعي في العمل أيضا في هيكلية التركيب الشبكي للعمل الفني: الفضاء غير الخطي، تعدد المرجعيات، تراكب الصور، وتشظي المعنى، كلها سمات تماثل بُنية عمل الخوارزميات. "فكلما تُنتج الشبكات العصبية الاصطناعية نتائج غير متوقعة من خلال التعلم والتراكب، تولّد نجام رؤية بصرية هجينة، حيث لا يمكن فصل الحداثي عن التقليدي، ولا البيولوجي عن الرقمي[24]".

لا يُقدّم الذكاء الاصطناعي في " Jengu – Mami Wata" كأداة تقنية صامتة، بل كعنصر فاعل في إنتاج المعنى. هو وسيط أسطوري جديد، يحمل إمكانية إنتاج سرديات بديلة ومُحرّرة. "في عمل جوسيفا نتجام، تتلاقى الأسطورة مع التكنولوجيا، ويُعاد تشكيل التاريخ من خلال كائنات هجينة، عابرة للزمن والمكان والأنواع، ما يجعل العمل نموذجا معاصرا لفن ما بعد الإنسان، وما بعد الاستعمار في آن واحد [25]".

يشكّل الذكاء الاصطناعي في الممارسة الفنية للفنانة جوسيفا نجام عنصرا بنيويا يتجاوز الاستخدام التقني إلى فضاء مفاهيمي وجمالي، يُعيد من خلاله التفكير في العلاقة بين الصورة، والذاكرة، والهوية. ففي عمل " Jengu – Mmi Wata"، لا يُستخدم الذكاء الاصطناعي كأداة توليد تلقائي للصور، بل بوصفه مرحلة تحسين معرفي بصري، تُوظف فيها الخوارزميات لإعادة تشكيل النسيج البصري للكولاجات، وضبط الطبقات اللونية، ودمج العناصر الأرشيفية والأسطورية ضمن بنية بصرية هجينة.

تمثل هذه المقاربة انزياحا عن الفهم التقليدي للوسيط الرقمي، إذ يتحول الذكاء الاصطناعي في أعمال نجام إلى فاعل تشكيلي معرفي يُعيد كتابة أرشيف ما بعد الاستعمال، ويُنتج سرديات بصرية بديلة، تُعانق رموزا من الميثولوجيا الأفريقية (مثل مامي واتا) وتُقدّمها ضمن سياق بصري جديد، حيث تتداخل الأسطورة مع التشفير، والذاكرة مع الحساب.

تسهم هذه البنية الذكية في إنتاج كائنات هجينة، تنتمي إلى ما يُعرف بـ"ما بعد الإنسان"، وتُعيد تصور العلاقة بين الجسد، الطبيعة، والآلة. وعليه، فإن توظيف الذكاء الاصطناعي لدى الفنانة جوسيفا نتجام لا يقتصر على البُعد التقني، بل يتعداه إلى أداة نقدية تُفكك الهيمنة البصرية الغربية، وتفتح أفقا لسردية أفريقية ذاتية، متعددة، ومتحوّلة.

خاتمة:

تمثل أعمال جوسيفا نتجام في مجال الخزف المعاصر نموذجا متقدما للتلاقح بين المادة والتقنية، حيث تتجلى فيها تمثلات الجسد الأنثوي ككائن متعدد الأبعاد يتجاوز الحدود المادية إلى فضاءات معرفية ورقمية، بفضل توظيفها المبتكر للذكاء الاصطناعي. إن دمج نتجام للتقنيات الرقمية مع الحرفية التقليدية ليس مجرد تحديث وسيلة فنية، بل هو إعادة صياغة جذريّة لمفاهيم الهوية والجسد والذاكرة في الفن المعاصر.

تعكس أعمالها نهجا نقديا يعيد النظر في الأجساد الأنثوية كعلامات ثقافية تنطوي على تراكمات تاريخية ومجتمعية، وفي الوقت نفسه تستشرف آفاقا جديدة تتيح للذكاء الاصطناعي أن يكون شريكا فاعلا في العملية الإبداعية، لا أداة تقليدية فقط. بهذا، تسهم الفنانة جوسيفا نتجام في تطوير خطاب فني يتماهى مع التحولات المعاصرة في الثقافة الرقمية، ويعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والآلة في السياق الفني.

تقدم تجربة جوسيفا نتجام نموذجا رياديا يُحتذى به في البحث عن تقاطعات جديدة بين التراث والحداثة، الجسد والتقنية، مما يفتح آفاقا بحثية وفنية واسعة تسلط الضوء على إمكانيات الذكاء الاصطناعي في إعادة تشكيل الخطاب الجمالي في الفن المعاصر.

الهوامش

1.عبد السلام، أحمد، **الفنون التطبيقية، الخزف والنحت المعاصر**، دار الفكر العربي، 2015، ص 98.

2.Judith Butler, *Gender Trouble : Feminism and the Subversion of Identity*, London, Routledge, 1990, p. 52.

3.Ibid, P. 65.

4.Simon Njami (ed.), *African Remix : Contemporary Art of a Continent*, Ostfildern, Hatje Cantz, 2007, p. 144 et 147.

5.Bell Hooks, *Art on My Mind : Visual Politics*, New York,The New Press, 1995, p. 73 et 76.

6.Ifi Amadiume, *Re-inventing Africa : Matriarchy, Religion and Culture*, London, Zed Books, 1997, p. 89 et 92.

7.Samuel O. Asein, « Mami Wata :Africa's Ancient God/dess Unveiled », *African Arts*, Vol.41, No. 2, Summer 2008, p. 61 et 63.

8.Rozsika Parker, *The Subversive Stitch : Embroidery and the Making of the Feminine*, London, Women's Press, 1984, p. 118 et 120.

9.Lucy Lippad, *Overlay : Contemporary Art and the Art of Prehistory*, New York, Pantheon Books, 1983, P. 34 et 38.

10.هدى جابر، **الخزف في الفنون التشكيلية المعاصرة**، القاهرة، المركز الثقافي العربي، 2020، ص 54.

11.Josèfa Ntjam, **Deep Sea Palace**, Photoworks, 2021.

12.طارق خليل، "الذكاء الاصطناعي والفنون: إمكانات جمالية جديدة"، **مجلة الفنون المعاصرة والرقمية**، 2021، ص 52.

13.CURA Magazine, *The Hybrid Cosmos of Josèfa Ntjam*, 2022

14.AWARE Women Artists, *Al-refined Collage in contemporary African Art*, 2022.

15.Contemporary And (C&), *Ntjam and the Political Futures of water*, 2022

16.مها الزهراني، "تحولات الصورة الفنية في ظل الخوارزميات"، **المجلة العربية للفنون البصرية**، 2020، ص 81.

17.ياسر حجازي، "الفن التوليدي، إبداع ما بعد الإنسان"، **مجلة فلسفة الفن المعاصر**، 2021، ص 28.

18.Donna Haraway, *A Cyborg Manifesto. In Simians, Cyborgs and Women : The Reinvention of Nature*, London, Routledge, 1991, p. 149 et 181.

19.Henry Drewal, *Mami Wata : Arts for Water Spirits in Africa & Its Diasporas*. Los Angeles, Fowler Museum UCLA, 2008, p. 11 et 25.

20.Rosi Braidotti, *The Posthuman*, Cambridge, Polity Press, 2013, p. 45 et 68.

21.Achille Mbembe, *Sortir de la grande nuit : Essai sur l'Afrique décolonisée*. Paris, La Découverte, 2013 , p. 134 et 142.

22.Ytasha Womack, Afrofuturism: The World of Black Sci-Fi and Fantasy Culture. Chicago, Lawrence Hill Books, 2013, p. 91 et 108.

23.فاطمة جبر، "الهوية والذكاء الاصطناعي في الفن الرقمي الأفريقي"، **مجلة الثقافة الأفريقية الحديثة**، 2023، ص 65.

24.Édouard Glissant, *Poétique de la relation*, Paris, Gallimard, 1990, p. 23 et 31.

25.Josèfa Ntjam, *Palais de la mer Profonde : manifeste artistique*, 2021.

جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213
البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org
الموقع: www.tounesaf.org
فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet
تويتر: twitter.com/tounesalfatet
انستغرام: @tounesaf